

فقه العبادات - مالكي

1 - مواهبه وصفاته :

لقد آتى المالكا من الصفات والمواهب ما جعل منه محدثا وفقهيا يأخذ سمتة في الاتجاه المستقيم والسير في ضوء القرآن والسنة وآثار السلف الصالح : .
آ - لقد آتاه المالكا حافظة تعي فإذا استمع إلى شيء استمع إليه في حرص ووعاه وعيا تاما حتى إنه ليسمع نيفا وأربعين حديثا مرة واحدة فيلقياها على من استمعها منه مباشرة ولا يضل منه إلا النيف .

ب - والصفة الثانية التي اتصف بها مالك B وكانت أساسا لنبوغه هي الصبر والجلد والمثابرة ومغالبة المعوقات في الوصول إلى الغاية . ولذلك كان B يقول : " لا يبلغ أحد ما يريد من هذا العلم حتى يضرب به الفقر ويؤثره على كل حال " .

ج - والصفة الثالثة التي كانت من أسباب إدراكه للحقائق وفهمه للحديث وكتاب المالكا تعالى هي الإخلاص في طلب العلم فقد طلب لذات المالكا ونقى نفسه من كل الشوائب الغرض والهوى في دراسته وأثر عنه أنه كان يقول : " العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقى خاشع " . وكان يقول أيضا : " ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه المالكا بالحكمة " .

د - ومن المواهب التي أعطاها المالكا أيضا قوة الفراسة والنفاز إلى بواطن الأمور . وإلى نفوس الأشخاص يعرف ما تكن نفوسهم من حركات جوارحهم ومن لحن أقوالهم . ولقد قال أحد تلاميذه : " كان في مالك فراسة لا تخطئ " .

هـ - وهناك في مالك صفة خاصة هي جماع ما وهبه المالكا من صفات وهي المهابة وكان له مجلس أقوى تأثيرا من مجلس السلطان من غير أن يكون صاحب سلطان . وقد اجتمع به سفيان [ص 19] الثوري B وهو من قرنائه أصحاب المذاهب فسئل عما رآه الإمام مالك فقال سفيان مادحا له : .

يأبى الجواب فما يرجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقان .

أدب الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المطاع وليس ذا سلطان .

ولا يمكن أن تسند هذه المهابة إلا إلى قوة الروح وقد أعطى المالكا سبحانه وتعالى مالكا هذه الهبة الروحية التي جعلت له سلطانا عن النفوس واجتذابا للقلوب . . وإلى جانب هذا أعطاه المالكا بسطة في الجسم حتى إن تلميذه الزبيري يقول : " كان مالك من أحسن الناس وجها وأحلام عينا وأنقاهم بياضا وأتهم طولا في جودة بدن " وبذا كانت صفاته الجسمية والعقلية وأخلاقه وأحواله تلقي المهابة في نفس من يعرفه ويلقاه .

هذه هي صفات مالك Bه وق تهيأ لهذه الصفات أن تجد شيوخا صالحين يوجهونها ويسرون بها
نحو الغاية . ولنتكلم عن هؤلاء :